أنت القادمة

سارة عبد الجواد

هي فتاة بيضاء ذو ملامح ناعمة وعيون واسعة ، تنعكس أشعة الشمس فى مُقلتيها فتجد نفسك غارق وتائة عن اللون الحقيقي لعيناها . كانت ترتدي ذلك السلوبيت الذي طالما أبرز ملامح أنوثتها وأضاف أنوثة على أنوثتها . ما ان أنتهت من مقابلة عملها ؛ حتى قررت إستئناف مانويت عليه . منذ بضعة أعوام تركت بلدها ورحلت إلى المدينة . و أستأجرت شقة صغيرة ، ولكن نظرا لأنها ستغير موقع عملها ، فبالتالي بحثت عن شقة قريبة من عملها ، الكائن فى أحد الأحياء الراقية والجديدة بالقاهرة . كانت تتوسم خيرا كثيرا ، رغم شعورها الغريب المضطرب إتجاه المكان ، فتحدث نفسها بأن من الطبيعي بعض المخاوف تهاجمني فأنا أنقل كافة حياتى من مكان إلى آخر ، ولو أستمر قلقي وأضطرابي سأدعو أحدا من أهلي يأتي يعيش معي . ذهبت فى الموعد المحدد لتقابل السمسار وصاحب الشقة المستأجرة مستقبلا . قابلت فى أول الشارع السمسار وإستكملا الطريق

سويا . ما أن وصلت إلى العمارة حتى سألت الله العون ، وصعدت بالمصعد الدور الثاني . دخلت الشقة تتحرك وترى المساحة والحجرتين، بعد صمت بينها وبين السمسار .

قال السمسار : يا أستاذة، الأستاذ صاحب الشقة أهو جه . تلفتت صاحبة البشرة البيضاء لتجد أمامها شاب عكسها تماما أطول وأعرض المنكبين وأسمر البشرة ، ولكنهما يشتركان فى إبتسامة ساحرة تبادلاها سويا

قال الشاب : أهلا وسهلا ، أتمنى أن تصبحي الساكنة الجديدة . فنظرت إليه وأبتسمت ، ولم تنبث ببنت شفة .

لاحظت لمعة صارخة في عينية ، وخفة حركتة ومحاولة إقناعها بالشقة ، كما أنه بدأ يسألها عن مكان عملها وكيف له أن يساعدها فى التنقل . أنتهت من رؤية الشقة ، وهمت بالإنصراف ، قال لها محاولا إبقائها أمامه أكثر ؛ ماذا لو تبادلنا الأرقام حتى إن أخذتِ قرارك سأرفض القادمين . تبادلا الأرقام ورحلت .

كان السمسار يبدي لها إندهاشه ، فقال لها أنها أول مرة يجده يتصرف بتلك الطريقة مع أحد ، فهو يعلم أن الشاب يرفض إستئجار الشقة ، ولكن أبواه يريدون الإستنفاع منها ، فتلك أول مرة يوافق هو . وإن كان قرارها وإختياراها وقع على الشقة ، فأنها سوف تحظى بجيران ودودين وشاب أسمر جدع . كانت تعلم أن للسمسار أجره ونسبته .

فى نهاية اليوم كانت سعيدة بما شعرت وذلك الإحساس الذي تسرسب من بين جوانب قلبها محاولة خرق الحواجز ، ولكن ثمة أمر ما يُربكها ويحيرها . بدءت رحلة الإنتقال من عمل إلى آخر ورحلة السؤال عن شقة أُخرى ، ولكن ما أن دلها أحد فتجد أنها نفس الشقة ، وكأن الشقة وصاحب الشقة يحاصرنها ، فقررت أن تستأجرها ؛ مهملة لإحساسها بالقلق والريبة .

مرت الإيام ، كان يساعدها الشاب الأسمر ، وكانت مستمتعة بوجوده وتلك النظرة التى تقاومها والإحساس بالإنجذاب الذي

يراودها ، ذلك الصراع الجميل الذي ينتهى بالحب ، إلآ شعورها بأن ثمة خطب ينتظرها لم يفارقها البتة .

أول ليلة فى الشقة الجديدة ، هانئة جميلة ، أختارت الأشياء بسيطة وبعناية ، كما أن صاحب الشقة يبدو علية التعاون والشهامة يالها من جيرة لطيفة مطمئنة . ويارب من شعور سخيف يطاردني بعدم الآمان . فى اليوم التالي كان أول نهار فى شقتها الجديدة ذهبت إلى عملها وعند الرجوع وجدتة ينظر لها من الشباك ، أبتسمت له ودخلت البناية ، ما أن وصلت إلى الدور الثاني وجدتة فى إنتظارها ، سألها عن أول يوم عمل وعن الطريق وأنه كان قلقا أن تضل الطريق ، خاصة أنه أنتظر أن تتصل به لتطلب المساعدة ولكنها لم تفعل . مرت عدة أيام لم يعكر صفوها شئ مُلح ولكن كان هناك دوما شئ يجذبها رغما عنها له ، ودوما تشعر أنه يتلصص عليها ، كانت تفتح الباب فى مرات تجده ورائه ، و كانت تسمع من بعض الجيران ، أنه لا يعيبه سوى أنه متقلب المزاج و أحيانا عند الغضب يتمتم بكلمات غير مفهومة . كانت تشك لحظات بأنه يفعل شئ ما (يجذبها بالطاقة ، أو لعله سحر ما ، أو مس)

.

ولكن كيف له أن يفعل هذا فهو يشعرها دوما بأنه يريد الإقتراب ويتحدث عن نفسه كثيرا أمامها . مر شهران مخاوفها تزيد ومحاولاته للقرب منها تزيد ؛ كانت كثيرا تتعجب لوجودهم في نفس الشارع فى نفس الموعد واللحظة دون إتفاق سابق . بعد أن لاحت إشارة فى كلامه بأن لاشئ يحدث صدفة ، عاد وأكد أنها مجرد آقدار ليس إلآ . وفي آخر مرة تقابلا قدرا ؛ قال لها مازحا ، لا أصدق إننا نتقابل هكذا دوما لو أنكِ تحبيني ما كنا نتلاقى هكذا أبدا . بعد تلك المرة عادت إلى شقتها وهي تحاول أن تفهم إن كل ما يحدث خارج حدود المنطق ولا يمكن أن تضع كلامه بعين الإعتبار . أختفى بعدها لفترة ، كانت تحاول أن تقتص أخباره ، دفعها الإحساس بالفقد إلى أن تطرق بابه. لفت أنتباهها أن ليس هناك ساكن بالدور قبل الأخير ، شعرت بالخوف والقلق ولكنها أكملت الصعود إلى الدور الأخير تطرق بابه . حاولت تسترق السمع ، أى صوت تنم أنه بالداخل ، فسمعت صوت تحطيم بضعة أشياء وحركة . طرقت الباب ففتح مسافة صغيرة ،

دخلت فوجدت المكان منظم تماما ، أخذت تنادي دون إستجابة . وفجأة خرجت نار من المطبخ فى إتجاهها ، حاولت أن تدخل المطبخ لعل هناك مشكلة ، ولكن عند الإقتراب طرحت أرضا ، فقامت متألمة . وقررت تعود إلى شقتها خائفة وخائبة . عند إتجاهها للباب للخروج وجدتة مؤصدا ، أنا لم أغلق الباب قد تركته مفتوح ، مَنْ أغلقه ؟ حاولت فتحه لم تفلح ، إلى أن فُتح من الخارج ، كان هو مَنْ فتح الباب ، سألته : أين كنت ؟ ولما شقتك غريبة هكذا من الأفضل أن يطلب المساعدة من بضع شيوخ هناك شئ يحدث بداخلها ، أنتَ لست الساكن الوحيد لتلك الشقة . أجابها منفعلا : من أعطى لكِ حق النصح والإرشاد ؟ من قال لك أن تتخطى الحدود فى علاقتنا ، من قال أنكِ شخصا مهم من الأساس ، وأنى مختفى لأرى إن كنتِ ستهتمين أم لا ؟ أذهبي ولا تأتي ثانيا . عادت إلى شقتها تبكي وتتألم ، تتذكر ما رأت فيملؤها الذعر فتستغيث بالمغيث أغيثني يا خالقي . مر يومان وفي الثالث عادت لتغيير ملابسها ، لتجد أن كتب على المرآة (أنتِ القادمة).

حاولت محوها قدر المستطاع ، لتجد أن هناك فتاة ظهرت فى المرآة ؛ فتاة تقول لها إهربي قبل أن يلحق بكِ . مر يومان غادرت فيها شقتها ، وعادت . بعد فترة قصيرة تقابلا على السلم ، فسلمت " السلام عليكم " فرد التحية .

وما أن دخلت شقتها ، حتى كتب على جميع مرايات الشقة (أنتِ القادمة) ، وظهرت الفتاة . أستجمعت الفتاة المستأجرة شجاعتها ذات يوم ، وأنتظرت الفتاة بعد كتابة العبارة .

سألتها : لما الهرب؟

أجابت فتاة المرآة : أنه ما أن سُلط عليكِ وتملك منكِ ، لن نجد لكِ جثة حتى نكرمها وندفنها ، سيريك الموت ويجعلك تتمنيه ، ولكن رحمة الله وسعت كل شئ .

فسألت الفتاة المستأجرة : كنتِ تعرفينه ، تحدثتي إليه ؟

أجابت فتاة المرآة : كنت أستئمنه مثلك علي ، وهنا يكمن الخطر ، هنا النهاية .

أنتِ أحببتيه ، تبحثين عنه ، تقاومين رعبك وخوفك لتبقى إلى جواره ، رأيتك تحاولين الصعود لأعلى ، أنا أتبعك ، وأنا من أعترضت طريقك فى شقته .

وأختفت الفتاة لتترك المستأجرة فى حيرة من أمرها ، لن تتمكن من مغادرة الشقة الشقة فهي فعلا تحبه ، وتتمنى لو تفهم أهو سحر أم مس . ماذا إذا كانت مسحوره لأنه مسحور . كان الإحتمال الأخير يجد قبولا لديها ، ويساعدها فى التمسك بشقتها لمساعدته والتحرر من السحر .

عاد مرة أُخرى يتواصل ويحكى معاها ويقترب ويشتاق فيتلاقوا ثانية . إلى أن أعترف برغبته فى الإرتباط بها ، سألته وماذا عن شقتك ، فأجابها بأنه أعتاد العيش هكذا وأن تلك الأشياء لاتؤثر فيه . فهو يقابل عددا لابأس به من الأشباح يمرون حوله أو يتشاجرون . وقد أعتاد حتى على لعب أطفالهم بجواره على السرير ، فيصرخ فيهم ، فينصرفوا بعد أن يتحولوا إلى قطة سوداء غاضبة .

عادت إلى المنزل معه ، لتجد فتاة المرآة تنظر إليها وتطلب منها الرحيل سريعا ، فتخبرها بأنهم سيرحلون معا ، فتنذرها بأن هذه الجملة ماهي إلا أيام من عمرها وسينقضي أمرها . فتقول لها أنها رأت القطة السوداء الغاضبة .

لتستكمل فتاة المرآة : هو سيطرق بابك ، ويقترب منك إلى أن تطمئني فتقتربي وتدنو منه ، لتصبح أنفاسكم واحدة . ما أن تمر أول قبلة بسلام ، سيكمل ليضع على جسدك بصماته بآلته الحادة ، لا تظنى أنه سيطعنك ، كلا . ستنزفي ويجرحك وتصرخين من الألم ، تماما كما أُمر منهم أن يفعل ، وما أن يكتفي سيفصل جزء من رقبتك عن جسدك ويحتفظ بدمائك إلى أن تخرج روحك من كثرة الألم وتصبحين قربان . دعيني أخبرك أنه منذ زمن لم يقدم قربان جميل مثلك لهم .

صرخت المستأجرة : لما كل هذا ؟

أجابت فتاة المرآة : أنه ساحر عظيم .

مرت بضعة ليال لم تكتب سوى العبارة القصيرة ، ولم تفعل المستأجرة سوى حفظ الآيات التى تتلى أن شعرت بمكروه ، وتقرأ

كثيرا عن ما إذا كانت مصابة بسحره أم فقط مشاعرها تجرها جرا . وجاءت ليلة طرق بابها ، قبل أن تفتح حدثها قلبها بأنها قد تكون ليلتها الأخيرة ، فتحت الباب لتجده ، لازالت عينه تلمع ولازال يحاول الإقتراب كما تعودت منه ولكنه تلك المرة يحاول أكثر وبإصرار أكثر . كانت تعلم خطواته أخبراتها صديقتها فى المرآة ، وما أن أقترب غافلته لتفتح الباب ثانية وتقرأ عليه ما تيسر عليها حفظه وما آمنت به أنه سيحفظها ، لتشاهده يتخبط ويتيبس جسده ، وكان عليه الدور فى أن ينزف ويوهن جسده ، كل هذا حدث على مرآى ومسمع من الجيران ، ما أن نظرت لهم و وجدت فى عيونهم أنهم كانوا يعلمون ، تركتهم يسعفونه ، وذهبت تجمع أشيائها ، لتظهر لها صديقاتها في المرآة تقول لها أهربي . لترحل بعد أن كتبت على جميع حوائط الشقة بالدماء " إن عودتى لنحرقك كما حرقتى أولادنا " .